CC BY

اللّسانيات العربيّة عند تمّام حسّان بين التّأصيل والحداثة

ــ المستوى الصّوتي أنموذجًا ــ

سميرة عبدالمالك * نادية شارف **

تأريخ التقديم: 2020/10/19 تأريخ القبول: 2020/10/31

المستخلص:

اتّفق العلماء على تقسيم اللّغة إلى مستويات تحليليّة، لأنّها تحتوي على جوانب شديدة التّعقيد، تتطلّب أكثر من منهاج وأكثر من وسيلة لفكّ شفراتها وتحليل محتوياتها، فافترضوا أنّها تقسّم إلى مستويات يتمتع كلّ مستوى منها بخصائص عامّة، يمكن عن طريقها الوقوف على أسرار محتوى هذا المستوى، وهذه المستويات تعمل في تناسق وتكامل، ولا يكون فصل بعضها واستقلاله عن بعضه الآخر إلّا ظاهريا، لأنّ اللّغة كيان واحد لا يمكن الفصل بين محتوياته فجميع العناصر اللّغوية تتفاعل معا وتتآزر في تحقيق مقاصد لغويّة، وأيّ تقسيم للّغة إلى مستويات ما هو إلّا تقسيم منهجي، ولكلّ عنصر منها فرع من فروع علم اللّسان، وأشهر تقسيم عرفه اللّغويون هو أربعة مستويات والّتي تشكل بناء اللّغة العام، وهذه المستويات هي: مستوى الأصوات، مستوى الصّرف، مستوى النّحو، ومستوى المفردات.

وبما أنّنا بصدد دراسة " تمّام حسّان" فقد تصوّر أنّ اللّغة العربيّة، تتكوّن من ثلاثة أنظمة: النّظام الصّوتي، النّظام الصّرفي، والنّظام النّحوي، ومنطلق "تمّام حسّان" هو أنّ كل دراسة لغويّة لابدّ أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التّعبير المختلفة.

* المركز الجامعي مغنية/ الجزائر .

** المركز الجامعي مغنية/ الجزائر .

وعليه فإنّنا سنحاول في هذه الدّراسة تتبّع منهج " تمام حسان" في دراسة القضايا اللّغوية وخاصة الصّوتية، وطريقة تحليله لها، وإن خدم هذا المنهج اللّغة العربيّة أم كانت له توجّهات وأبعاد أخرى.

ومن هنا جاءت فكرة البحث الموسوم: اللّسانيات العربيّة عند تمّام حسّان بين التّأصيل والحداثة، المستوى الصّوتي أنموذجا.

وذلك من أجل الإجابة عن الإشكالات الآتية:

1ـــــــ ما منهج "تمام حسان" في دراسة القضايا الصوتية العربية ؟

2ـــــــ ما موقفه من التّراث اللغوي العربي ؟

3ـــ ما هي آراؤه في الدّرس الصّوتي و التي أضافها للتّراث العربي القديم ؟

ونظرا لطبيعة الموضوع، فإنّه يقتضي اتّباع المنهج الوصفي التّحليلي بغية تحقيق الأهداف السّالفة الذّكر.

الكلمات المفتاحيّة: اللّسانيّات– التّأصيل– الحداثة– المستوى الصّوتي– تمّام حسّان.

المقدمة:

تجلّت الأبحاث اللّغويّة العربيّة منذ القديم، وحتى الجهود اللّغوية الحديثة، انطلاقا من تمركزها على عدة مرجعيات، تعتمد كلّ منها على ثقافة أصحابها وكذا الغاية التي يسعى كلّ منهم إلى تحقيقها وإثباتها في حقل الدّراسات اللّغوية العربيّة.

فقد ظهر في هذا الصّدد جماعات من الدارسين دعا بعضهم إلى ضرورة بعث الجهود اللّغوية القديمة، ومواصلة ما بدأه سيبويه وقرناؤه من علماء العربيّة القدماء، من أجل إثبات الهويّة العربيّة لهذه الأبحاث. ونادى بعضهم الآخر إلى ضرورة التّفاعل مع المستجدات التي يشهدها العالم آنذاك، من أجل التّقدم في ميدان الدّراسات اللّغوية، و رأوا أنّه من الأجدر النّظر إلى اللّغة العربيّة وفق المناهج اللّسانيّة التي ظهرت في الغرب وحاولوا تطويع اللّغة العربيّة لهذه المناهج، بينما سعى آخرون إلى إعادة قراءة وتنظيم مقولات اللّغة العربيّة وفق هذه المناهج الغربيّة الحديثة مع الاحتفاظ بمقولات الدّراسات التّراثيّة.

ومن يتصفح الجهود العربيّة التي عُنيت بالتّراث العربي، يلاحظ أحد اثنين: فإمّا ناقل لفكر غربي أو ناشر لفكر عربي قديم ومن أجل توخي العلميّة في تناول الجهود

اللّغوية العربية، وتفادي الوقوع في أخطاء منهجيّة، وجب تناول ما قدمه علماء العربيّة القدامى وفق سياقه ومحاولة إنزاله المنزلة التي يستحقها دون الانحياز له ولا انتقاده بغير علم من أجل الانتقاص من قيمته. ويتأتى ذلك من خلال تتبّع المراحل التي عرفتها الجهود اللّغويّة، وهذا التّتبع التّاريخي للنّشاط اللّغوي العربي هو من أجل البناء المنهجي للموضوع قيد الدّراسة، فاسترجاع تاريخ الدّراسات العربيّة التّراثية لا يعني البتة العودة إلى الوراء، أو البكاء على الماضي و تمجيده والتّعلق به، كما أنّ هذا لا يعني إلقاء مشاكل الحاضر وهمومه على الماضي في أشكاله المختلفة ومواقفه المتباينة ، وإنّما يكون ذلك من أجل ربطه بالحاضر ومحاولة إيجاد "الحلقة المفقودة" في الفكر اللّغوي العربي،وربط التّراث بالحداثة ليكمل أحدهما الآخر مع التركّيز على مميزات العقل العربي في كلتا الفترتين.

1ـــــ التّفكير اللّساني عند العرب:

اقترنت نشأة العلوم اللّغوية عند العرب بنزول القرآن الكريم، فقد كان هذا المستجد في البيئة العربيّة دافعا قويا للاهتمام به وإمعان النّظر في طياته، لاسيما أنّه جاء جليلا من حيث فصاحة ألفاظه، ومتانة نظم عباراته، فكان معجزا في لفظه ونظمه، خاصّة أنّه خطاب تحدى به الله عز وجلّ قوما أهمّ ما عُرف عنهم براعتهم اللّغويّة، وهذا ما جعل فريقا من العرب القدامى يبحثون في هذا الإعجاز وخصائص هذه المزيّة التي يُنعت بها الخطاب الرّباني، ولعلّ ظهور رسائل تبحث في غريب القرآن خير دليل على ذلك.

فالمعروف أن منطلق الدّراسات اللّغوية العربيّة هو محاولة التّخلص من مشكلة "اللّحن "عند قراءة الآيات القرآنيّة، فقد انبرى جماعة من العرب لوضع قواعد تقوّم ألسنة العجم الذين انخرطوا في المجتمع العربي بعد انتشار الإسلام من خلال قدومهم إلى البلاد العربيّة قصد التقرّب من مصدر الشّريعة الإسلاميّة، فكانت لعاداتهم النّطقية في لغاتهم الأصلية أثر عند تعلمهم اللّغة العربيّة، لكنّ اللّحن لم يقتصر على العجم فقط، بل مسّ أيضا العرب نتيجة اختلاط الألسنة، ويضاف إلى ذلك « الأثر المهم الذي خلّفه الزّواج بغير العربيات والذي يمكن اعتباره من أهم الأسباب الآيلة إلى الضعف اللّغوي الطارئ والحاصل، بملاحظة الأجيال الجديدة التي نشأت في حجور أمهات

فارسيات، أو روميات أو حبشيات، أو غير ذلك لن تتمكن من إحراز الملكة اللّغويّة التي تمكنها من نطق الفصحى دون خطأ» [1]

غير أننا نلمس إجماعا عند اللّغويين بأنّ اللّحن ظهر في صدر الإسلام أو بعده بقليل، ودليل ذلك قول ابن فارس (ت 375ه):« فأمّا اللّحْن بسكون الحاء فإمالة الكلام، عن جهته الصّحيحة في العربيّة. يُقال: لَحن لَحْنا. وهذا عندنا من الكلام المولَّد، لأنّ اللَّحن مُحْدَث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلَّموا بطباعهم السّليمة.» [2]

ومن ثمة ظهرت الجهود اللّغويّة الأولى؛ فقد أجمعت الدّراسات الّتي أرّخت لنشأة الدّرس اللّغوي العربي أنّ أبا الأسود الدّؤلي (ت 27هـ) ممّن له فضل السّبق في هذا المجال، فمن قال:« إنّ أبا الأسود وضع النّحو فقد كان يقصد شيئا من هذا، وهو أنّه وضع الأساس بضبط المصحف حتى لا تكون فتحة موضع كسرة، ولا ضمة موضع فتحة، فجاء بعد من أراد أن يفهم النّحو على المعنى الدّقيق، فاخترع تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف والاسم إلى ظاهر، ومضمر، وغير ظاهر ولا مضمر، وباب التّعجب، وباب إن.» [3]

والغاية التي من أجلها اهتم العرب بالنّظر في لغتهم ، والمتمثلة في معالجة الألسنة من اللحن عند قراءة القرآن الكريم ، وإن كانت بسيطة في ظاهرها إلا أنّها مهدت لقيام علوم لغويّة كثيرة أنتجتها القريحة العربيّة في القرون الأولى من الحضارة الإسلاميّة وجعلت من المسلمين أصحاب علم وفير أفادوا به الحضارات المحيطة بهم في زمانهم وحتى من جاؤوا في الأزمنة التي تلت زمانهم، وجعلت المحدثين حتى من غير العرب يعترفون أنه « إذا استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر

---

[1]– طلال علامة: نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، دار الفكر اللّبناني، بيروت، ط1992،1م، ص: 19– 21.

[2]– أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ج5 ،1979م مادة (لحن).

[3] – أحمد أمين،:ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ج2 ،2012م، ص: 608، 609.

يحقّ له الفخار بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها حسب أصول وقواعد غير العرب.» [1]

2. النّظرية اللّغوية عند تمّام حسّان:

لا يمكننا بحال أن ننفي وجود عدد لا بأس به من المحاولات اللّسانية العربيّة التي كانت لها نظرات فاحصة وقدمت إضافات للبحث اللّساني العربي، بل إنّه ظهر منها من استطاع أصحابها أن يضعوا نظريّة في اللّسانيات بالاعتماد على معرفة واسعة بالتّراث اللّغوي العربي، وإلمام بمستجدات البحث اللّساني الغربي، فصنعوا لأنفسهم منهجا متميّزا في التّطرق إلى القضايا اللّغويّة العربيّة، واستطاعوا أن يرتقوا بالدّرس اللّساني العربي، وبفضل جهود هؤلاء اللّسانيين العرب أصبحت اللّسانيات العربيّة «واقعا ملموسا استطاع أن يتواصل مع الآخر تواصلا مفيدا، كشف من خلاله عن إمكانية توظيف الأنظار اللّسانية المعاصرة في الفكر الغربي في وصف قضايا اللّغة العربيّة وتحليلها وتفسيرها، ولا أحسب أنّ من سيكتب في العصر الحاضر من الغربيّين، من مؤرخي التّدوين الألسني، عن تأريخ الدّراسات اللّسانية العربيّة سيغفل هذه الحقيقة أو يحاول إهمالها.» [2] بل يجب أن يعترف هؤلاء المؤرخون لها بإسهاماتها في حقل اللّسانيات، وأن لا يغفل أيضا عن هويتها العربيّة الأصيلة.

ومن هنا فقد ارتأينا أن نقوم بعرض جهود تمّام حسّان، أحد هؤلاء الأعلام الذين ساهموا في تقديم المناهج اللّسانية وتعريفها للقارئ العربي، ثم طبّقها على اللّغة العربيّة من خلال إعادة قراءة التّراث اللّغوي العربي وفقا لأحد هذه المناهج، وهو المنهج الوصفي، فتشكل له نتاج لسانيّ طبع فكره حتى إن بعض الدّارسين

[1] – مقدمة معجم فيشر، ص:، 3. نقلا عن حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، ج1، 1956م، ص1.

[2] – عبد الرحمن بن حسن العارف: واقع البحث اللساني الحديث واتجاهاته، ضمن كتاب اللغة العربية والنظريات اللسانية الحصيلة والآفاق، ص: 37.

يعدّون ما قدمه « أهم تجربة مشرقيّة من حيث المنهج وكمال الرّؤية و وضوح الهدف.» [1]

إنّ الجهود اللّسانية العربيّة في مجملها كانت معتمدة على حصيلة احتكاك أصحابها برواد المدارس الغربيّة في أوربا وأمريكا، وذلك من النّاحيتين النّظريّة والمنهجيّة، فإذا تتبّعنا ما قدمه تمّام حسّان من آراء وإسهامات في حقل الدّراسات اللّغويّة العربيّة، فإنّنا لا نجده بدعا عن غيره من اللّسانيين العرب، بل هو في أغلب بحوثه وفيّ للمنهج الوصفي، فهو يصرّح بذلك بنفسه، إذ بنى جلّ أعماله وفق هذا المنهج. وقد أشار إلى ذلك في تقديمه لاثنين من مؤلفاته، وهما "مناهج البحث في اللغة" و"اللغة العربية معناها ومبناها"؛ فقد قال في الأول:« ولكنّني لا أستطيع أن أغمط حق النّظرية التي بنيت عليها هذه الدّراسة وهي نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب، فهيكلها غربي وتطبيقها على اللّغة العربية هو القسط الذي أنا مسؤول عنه في هذا الكتاب.» ويشير إلى أنّ الغاية التي من أجلها جاء الكتاب الثّاني هو «أن ألقي ضوْءاً جديدًا كاشفاً على التّراث اللّغوي العربي كلّه منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللّغة. وهذا التّطبيق الجديد للنّظرية الوصفيّة في هذا الكتاب يعتبر (حتى مع التحلي بما ينبغي لي من التّواضع) أجرأ محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللّغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر.» [2]

وهذا ما يرسم المنهج العام الذي اعتمده تمّام حسّان في مختلف الجهود اللّغوية التي استحدثها في حقل الدّراسات اللّغوية العربيّة، ففلسفته اللّغوية مبنيّة على المنهج الوصفي.

إنّ الجهود اللّغويّة التي بناها تمّام حسّان عقود من البحث والتقصي في قضايا اللّغة العربيّة القديمة منها والحديثة، جعلته يتبنى منهجا علميا قائما على مناقشة الكثير من القضايا اللّغوية، متفقا مع بعضها حينا وناقدا للبعض الآخر أحيانا.

---

[1]– نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2007م، ص:219.

[2]– تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998، ص: 10.

وكانت تعتبر النّظريّة اللّغوية عند تمّام حسّان تلك الثّقافة المزدوجة التي كان اكتسبها من خلال البعثة العلمية التي استفاد منها، فقد نهل من الثّقافة العربيّة الكثير، كما استطاع، من جهة أخرى، أن يحتك بالمناهج الغربيّة الحديثة في دراسة اللّغة، من خلال تتلمذه على يد "فيرث Firth" رائد المدرسة السّياقيّة الإنجليزيّة، ودليل تأثره العميق بهذه المدرسة اعتباره النّحو العربي في مجمله «شبكة من العلاقات السّياقيّة التي تقوم كلّ علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية قد يعتمد وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللّفظية في السّياق. والقرائن المعنويّة في النّموذج النّحوي هي قرينة الإسناد (ولها صور) وقرينة التّخصيص (ولها صور أيضا) وكذلك النّسبة (ولها صورها) والتّبعيّة (ولها صورها) والمخالفة (ولها صورها). » [1]

كل ذلك جعل آراء تمّام حسّان اللّغويّة ترنو إلى تقديم قراءة لسانيّة للّغة العربيّة وتستجيب لروح العصر، وتحدّد هويتها العربيّة المعاصرة، فالمتتبّع للآراء اللّغويّة لتمّام حسّان يلحظ إلمامه بالتّراث العربي ، فقد ضمّن مؤلفاته ومقالاته تصوره للكيفيّة التي يجب أن تُدرس بها اللّغة العربيّة والآليات المنهجيّة التي تجعل هذا التّناول للّغة العربيّة علميّا. وكان أوّل معالم مشروعه اللّغوي تطبيق المناهج الغربيّة في دراسة الصّوتيّات على بعض اللّهجات العربيّة، فنال الماجستير من جامعة لندن عن دراسته الصّوتيّة للهجة مدينة الكرنك بمسقط رأسه (محافظة قنا)، كما نال الدّكتوراه من الجامعة نفسها في دراسة صوتيّة أيضا للهجة مدينة عدن باليمن .[2]

من خلال هذا التكوّن العلمي المزدوج لتمّام حسّان، تتحدّد معالم النّظرية اللّغويّة التي نادى إليها، وحاول تطبيقها على الدّرس اللّساني العربي الحديث، وتتمثل في تطبيق النّظريّة اللّغويّة الحديثة على اللّغة العربيّة، من خلال المنهج الوصفي التقريري وكذا نظرية فيرث السّياقيّة، ونعني بالنّظريّة اللّغويّة الحديثة هنا، الإطار العام والتّحليلي للبنيوية الوصفيّة التي سيطرت على الفكر اللّغوي إلى ما قبل ظهور

---

[1]– تمام حسان: إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، أشغال ندوة اللّسانيات واللّغة العربية، تونس،19،13ديسمبر،1978م، ص: 159.

[2] – ينظر: حسام تمام، تمام حسان مجدّد العربية، مجلة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السّعودية، 2007م.

نظرية تشومسكي في رأي بعض المؤرخين، كما نعني بها أيضا بصورة خاصّة، نظرية فيرث اللّغويّة، أو بعبارة أخرى، أنّ النّظريّة التي طبقها تمّام حسّان في دراسته للّغة العربيّة هي نظرية فيرث.[1]

وهكذا تتحدد الأطر العامة للنّظريّة اللّغويّة عند تمّام حسّان، و هذا ما جعله يضع عمله بصفة عامة وكتاب "اللّغة العربيّة معناها ومبناها" بصفة خاصة (أجرأ محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللّغويّة تجري بعد سيبويه وعبد القاهر.)

3. موقف تمّام حسّان من التّراث اللّغوي العربي:

تتحدّد خصائص البحث اللّغوي عند تمّام حسّان من خلال مناقشة مواقفه تجاه التّراث اللّغوي العربي، فالمتتبع لأعماله يلتمس عددا من الملاحظات التي تنمّ عن اطلاع دقيق ومتفحّص لما جادت به قريحة العلماء الأوائل للعربيّة، ولكنّه لم يرض أن يقدّم تلك الملاحظات في ثوب تقليدي، بل حاول أن يمزج بين التّراث والمعاصرة من خلال مشروع يهدف إلى تقديم قراءة جديدة للتّراث اللّغوي العربي وفق المنهج الوصفي، فهو يقرّ أنّ مشروعه« نظرية جاءت نتيجة تجارب قرون في الغرب، فهيكلها غربي وتطبيقها في اللّغة العربيّة هو القسط الذي أنا مسؤول عنه في هذا الكتاب» .[2]

بنى تمّام حسّان دراسته للقضايا اللّغويّة العربيّة على المزاوجة بين التّراث والمعاصرة، فبهذا الجهد المبذول نجح أن يقدم قراءة ثانية للنّحو العربي« عبر تآليف أربعة : اثنان منها عرض فيهما أصولَ اللّسانيات الوصفيّة، وهما " مناهج البحث في اللغة" و " اللغة بين المعياريّة والوصفيّة " ، أما الاثنان الآخران فقد خصّصهما لدراسة التّراث وتقويمه، وهما " اللّغة العربيّة معناها ومبناها " و " الأصول" ، لكنّ

---

[1]– ينظر: حلمي خليل:العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعارف الجامعية، مصر، 1996م، ص 219.

[2]– تمّام حسّان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء ،1986م، ص: 17.

هذا التّقسيم لا يعني أنّ تقويمَ التّراثِ غائب عن كتابيه الأولين، بل كان حاضرًا في كتابه الأول حضور الهاجس الملح، وهو الذي قدّمه مدخلا لهذا العلم.» [1]

قبل البدء في عرض موقف تمّام حسّان من التّراث اللّغوي العربي، لا بد من الإشارة إلى تحديده لهذا التّراث، فهو في أغلب بحوثه المتعلقة بنقد التّراث العربي يركز على النّحو البصري بدءا بجهود الخليل وسيبويه، ثم من سار في نهجهما من النحاة العرب.

أ- بنية النّحو العربي:

يرجع اهتمام تمّام حسّان بالنّحو البصري إلى أن علماء البصرة هم من اخترعوا هذا العلم، إضافة إلى تناولها الصّارم للقضايا النّحويّة، «فقد سبقت البصرة إلى حقل النحو باتجاهاتها العقليّة الواضحة فصبغت هذه الصناعة بصبغتها، فلما جاء الكوفيون وجدوا البناء قائما مكتملا والطريق معبدة مطروقة، فلم يكن أمامهم إلا أن يختاروا بين أمرين اثنين: أن يقبلوا النّحو البصري كما تلقوه عن شيوخ البصرة، ويقفوا من البصريين موقف التّلاميذ متناسين الفارق بين النّزعة البصريّة العقليّة والنّزعة الكوفيّة النّقليّة، أو أن يكونوا أمناء على طابعهم النّقلي فيخالفوا على البصريين في بعض الأصول التي يأباها هذا الطّابع، وفي الفروع والمسائل المبنية على هذه الأصول. ولقد اختار الكوفيون طريق الأصالة والخلاف.» [2]

و على هذا الاعتبار، فإننا نجد تمّام حسّان يلاحظ أنّ النّحو العربي من خلال النّموذج البصري مبني على مجموعة من المقولات، هي بمثابة أسس منهجيّة، تتلخّص في النّقاط الآتية:[3]

---

[1]– خالد خليل هادي، مؤيد آل صوينت: تمّام حسّان في معيار النّقد اللّساني، ص : 252.

[2] – تمام حسان: الأصول، دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو ، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، 1430ه، 2000م، ص 37.

[3] – ينظر: تمام حسان: إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، ص:147، 154.

1. الكلمة وحدة الجملة ومن ثم كانت النّواة التي دارت حولها الدّراسات الصّرفيّة والمعجميّة، وذلك لاعتبارات كثيرة، أهمّها أنّ التّغيرات الصّرفيّة من إبدال وإعلال ونقل وقلب إنما تصيب الكلمة دون غيرها، كما أنها تعرّف على أنها لفظ مفرد دال على معنى مفرد، أضف إلى ذلك أن ظاهرة الإعراب ارتبطت بالكلمة، فالإعراب أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة، ومن هنا ينسب إلى الكلمة استقلال في بنية اللّغة لا يمكن نسبته إلى الصّوت أو المتلازمين، وهي فوق ذلك يمكن تقديمها أو تأخيرها، ويمكن أن تضام الكلمات الأخرى أو تنفصل عنها، ومن ثمّ تكسب وجودها النّظري باعتبارها وحدة تحليليّة.

2. تقسيم الكلم إلى ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف؛ وهو تقسيم بحسب اعتباري المعنى والمبنى، وقد لاحظ تمّام حسّان أن هذا التقسيم، مع أنه يأخذ بعين الاعتبار عنصري المعنى والمبنى معا، إلا أنه قاصر عند التّطبيق، فكل قسم منها يشتمل – حسبه– على أقسام من الكلم بينها اختلاف جوهري، يجعلها في الحقيقة لا تندرج معا في قسم واحد.

3. حين لاحظ النّحاة عدم اطّراد صور الاستعمال أدركوا أن محاولة بناء القواعد على أمور غير مطردة أمر غير ممكن، وكان الحلّ بالنّسبة إليهم أن وضعوا مفهوم أصل الوضع وهو من تجريدات النّحاة، وعليه بنو النّحو، فللكلمة أصل وضع يعدل عنه إما بالإعلال أو الإبدال أو القلب أو الحذف أو الزّيادة. كما أنّ للجملة أصل وضع قوامه الإظهار والذكر والاتصال والرتبة يعدل عنه بالإضمار أو الحذف أو الفصل أو تقديم وتأخير، فهذا الاختيار في التّعامل مع القضايا اللّغويّة من قبل النحاة، جعلهم ينحرفون عن مبدأ أساسي في اللّسانيات الحديثة، وخاصة المنهج الوصفي الذي تبناه تمّام حسّان، وهو التّحديد الزّماني أو ما يعرف بالآنية، فبهذا الثّبات الذي جعلوه لأصل الوضع بنى النحاة قواعد مطردة صارمة بمعزل عن تطوّر اللّغة من عهد جاهلي إلى آخر إسلامي، كما جانبوا أيضا التّحديد المكاني، واعتبار الاختلافات التي من المفروض أن تكون بين لهجات اللّغة الواحدة، فكان اعتماد أصل الوضع سببا في إغفال هذا الاختلاف بين اللّهجات فوضعت قواعد لاستعمال اللّغة من الحجاز إلى نجد، وأكثر من ذلك فقد بنو قواعد بتجريد الأصول وتسليطها

على المسموع فلما اختلف المسموع عن القاعدة قام بعض النّحاة بطعن العرب وتغليطهم.

4. إن من الأسس المنهجيّة التي بُني عليها النّحو العربي جعل النحاة أصلا للقاعدة يلتزم في العادة، ولكن يجوز العدول عنه إلى قواعد فرعية، فالأصل مثلا في المبتدأ التّعريف وفي الخبر التّنكير، لكن يمكن العدول عنها إلى قاعدة فرعية مفادها إذا أفادت النّكرة فلا يمنع الابتداء بها.

5. بني النّحو العربي على قرينة واحدة من قرائن المعنى النّحوي، وهي العلامة الإعرابيّة، وكان نتيجة ذلك اعتمادهم على مفهوم "العامل النحوي" الذي عدّ دعامة أساسية في النّحو العربي، وقسموه إلى عوامل لفظيّة ومعنويّة، وقسّموا الإعراب إلى ظاهر وتقديري ومحلي، وكان هذا الاعتبار بدوره خاضعا للقاعدة الأصلية التي قد يعدل عنها إلى قاعدة فرعية؛ فالأصل في الإعراب أن يكون بالحركات وقد يعدل عنه إلى الإعراب بالحروف، والأصل في الإعراب أيضا أن يكون ظاهرا ويكون العدول عنه بالتّقدير.[1]

من خلال هذا البناء الذي شُيّد به صرح الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة، يبدأ تمّام حسّان مشروعه الذي يحسبه يقف في مقابل النموذج البصري في حقل الدراسات النحوية العربية من حيث المنهج وكذلك من حيث الموضوعات[2]، وأكثر من ذلك فإنه يجعل نفسه في مقام من يصوّب البحث اللّغوي، فقد عدّ جهوده بمثابة العلاج لبعض ما أصاب التّناول اللّغوي العربي القديم من سقم «لهذا فكرت في أمر الدّراسات العربيّة القديمة، من حيث المنهج لا من حيث التّفاصيل، وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئا بمناهج الدّراسات اللّغويّة الحديثة، فاستطعت أن أحدد لنفسي موطن الداء، وحاولت جهد الطاقة أن أشخصه، آملا أن يسهل علاجه بعد ذلك على من يريدون هذا العلاج.» [3]

---

[1] – ينظر: تمام حسان: إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، ص :146.

[2] – المرجع السّابق، ص:146.

[3] – تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م، ص: 11.

يتفق تمّام حسّان مع اللّسانيين العرب المهتمين بقضايا التّراث العربي، فقد زعم عدد غير قليل من هؤلاء أنّهم بصدد تقديم نموذج لدراسة العربيّة في إطار ما عُرف بـــ" جهود تيسير النّحو العربي"، وكل عالم لغوي اعتمد في ذلك مرجعية نظريّة مستمدة من المناهج الغربيّة وحاول من خلال تطبيقها على اللّغة العربيّة أن يقدّم نموذجا يصلح –حسبهم– أن يساير العصر الحديث.

ويتلخص مسعى تمّام حسّان التّيسيريّ من خلال ملاحظات قدمها على الطّريقة التي عرض بها النّحو العربي «ولو أنّ النّحو العربي عرض على المبتدئين من طلابه في صورة الأصول دون المسائل لبَدَا هينا يسيرا مختصرا مستساغا. لكنّ كتب النّحو ورثت عن القدماء الحرص على عرض المسائل جنبا إلى جنب مع الأصول، فإذا واجهها المبتدئ لم يعرف أيّها الأصل وأيّها الفرع فتختلط عليه الأمور ويصعب عليه تحصيل النّحو».[1]

ب– النّحو العربي بين المعياريّة والوصفيّة:

تعد قضية معياريّة اللّغة أو وصفيّتها أهم القضايا التي شغلت تمّام حسّان، فمعظم البحوث التي قدّمها ناقش فيها هذه القضية وتأثيرها على النّحو العربي قديما، وهو يعتبر المعياريّة الدّاء الّذي أصاب النّحو العربي ويشتكي منه معظم الدّارسين له ، وجعلت منه ميدانا يصعب اقتحامه حتى في غير القضايا النّحويّة، وإنْ حدث ذلك كان التّعامل مع القضايا على الوجه الّذي يرتضيه البحث العلمي؛ لأنّ ذلك سيرتبط بالمسائل الفرعيّة لا الأصول الّتي يجب على الدّارس أن يهتمّ بها كونها – كما سبقت الإشارة إليه– تجعل تلقّي الدّرس اللّغوي العربي جلَّه والنّحو على وجه الخصوص خاليا من الشّوائب الّتي تشوِّهه.

من هنا جاءت محاولة تمّام حسّان توجيه الدّرس اللّغوي العربي إلى الوصفيّة وفيّاً في ذلك للمناهج الغربيّة التي تكوَّن في كنفها، فقد «اتجهت نفسي إلى دراسة

[1] – تمام حسان، الأصول، ص: 147.

المعياريّة والوصفيّة حين رأيت النّاس في معظمهم يشكون داءً في النّحو العربي لا يستطيعون تشخيصه؛ فإذا أرادوا تشخيص هذا الدّاء انصرفوا دون قصد إلى سرد أعراضه؛ فتكلموا في جزئيات النّحو، لا في صلب المنهج. وشتان بين من ينقد أجزاء المادة وبين من يريد علاج الفلسفة التي انبنت عليها دراستها.»[1]

ت– القاعدة:

ترتبط المعياريّة بمبدأ الصواب والخطأ، ويرى تمّام حسّان أنّ هذين العنصرين « زاويتا نظر إحداهما ترتبط بصناعة النّحو، والأخرى تتعلق بأسلوب الاستعمال اللّغوي أي أنّ إحداهما فنيّة والثّانية اجتماعيّة. فأمّا من وجهة النّظر الأسلوبيّة الاجتماعيّة فالصّواب ما وافق الشّائع في الاستعمال والخطأ ما ندّ عنه.» [2]

وعليه ترتبط القاعدة بالمعياريّة فهي العماد الأساسي فيها، وينظر تمّام حسّان إلى هذا المفهوم بطريقته الخاصّة كما عهدناه في تقديم المفاهيم التي يعطيها الطّابع الخاص الذي يتجاوب مع مشروعه الذي ارتضاه لمنهج دراسته للّغة العربيّة المبنيّة على نقد النّحو العربي، فالقاعدة – حسبه– «تلخيص لتقلب العلاقات بين عناصر السّياق وما يصاحب هذا التقلب من تغيّر في مباني اللّغة. ومن ثم تكون القاعدة وصفا لهذا التّقلب، ولكنّها ليست قانونا يسنّه النّحوي بما أعطاه العلم من سلطة يشرّع بها للّغة، ولا معيارا يحدده هذا النّحوي ليلزم أصحاب اللغة ومستعمليها مهما كان هذا المعيار منسجما مع تقلب العلاقات السياقية.» [3]

لكن الدّراسات المعياريّة إذ تضع القواعد لا تنظر إليها بهذا المفهوم، ولا تتعامل معها هذا التعامل والحذر الدقيق الذي ينبغي أن تنتهجه كل دراسة علمية، لكنها تقف عندها وتحاول فرضها وتكييف كل البحوث حسبها، ممّا يجعل مجال البحث متحجرا

---

[1]– تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص11.

[2] – تمام حسان: درجات الصواب والخطأ في النحو والأسلوب، مجلة مجمع اللغة العربية، ج 56، ماي 1975م ،ص: 55.

[3] – المرجع السّابق ، ص: 55.

عاجزا عن الإبداع والتّوسع في عرض مختلف القضايا. وتعظم الخطورة إذا ارتبط ذلك بالبحوث اللّغويّة؛ لأنّها بذلك قد تقصي العديد من الاستعمالات التي قد تصوّر لنا وقائع منه وظواهر لغويّة تعكس ثراءً حضاريّا يمكن الاستفادة منه إذا نظرنا إلى اللّغة نظرة وصفيّة ، فالدكتور تمّام حسّان يعقد مقارنة ذكيّة وفاحصة بين نظرة كل من المعياريّة والوصفيّة للّغة، ويرسم الحدود الفاصلة بين المنهجين وتأثير كل منهما على البحث اللّغوي « فالمعياريّة إذ تصل إلى القاعدة تقف عندها وتلزمها وتبطل بها كل بحث لاحق لها يؤدي إلى التّعديل أو التّحويل؛ فالقاعدة لدى المعياريّة غاية في نفسها وقانون ذو سلطة توجب وتجيز وتمنع.» [1]

ومن هنا سمحت الصّبغة المعياريّة لمنهج النّحو أن « تتحجر دراسته على صورتها بعد أن اكتملت لها القواعد وظهر قول بعضهم: إنّ النّحو نضج حتى احترق. وتوقف البحث في النّحو ليدور المتأخرون من طلابه في حلقة مفرغة ليس لهم فيها نشاط إلا التّعليق على أقوال المتقدمين.»[2] أما الوصفيّة فإنها تنظر إلى اللّغة على أنها «جهاز متحرك يخضع للوصف في إحدى مراحله لكنّه يتطوّر ويتحرك مع الزّمن، فيحتاج بعد تطوره إلى تجدّد وصفه في حالته الجديدة. وبهذا لا يسمح المنهج الوصفي للنّحو أن يتجمد في مكانه محاولا أن يوقف تطور اللّغة ويجمدها على حالها، وهيهات فإنّ القوانين الاجتماعيّة أقوى من قواعد النّحو ومن أماني رجال النّحو.»[3]

لا ينبغي، ونحن نستعرض هذا التحديد للبحث اللغوي – من وجهة نظر تمّام حسّان– وتفضيله للمنهج الوصفي، الذي يجعل ديناميكية البحث، على المعيارية، التي تجعل البحث اللغوي متحجرا، أن نفهم أنه يلغي القاعدة المعيارية تماما في تناول النحو العربي بل إنه يجعل المعيارية أساسية في بعض المواقف، خاصة عندما يتعلق الأمر بتعليم النحو، فمهمة معلّم النحو التمسك بمبدأ (قل، ولا تقل)، وتمام حسان

[1] – تمام حسان: اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1 ، 2007م، ص: 13.

[2] – تمام حسان: اجتهادات لغوية، ص14.

[3] – تمام حسان: اجتهادات لغوية ، ص: 13– 14.

يفصل بين عمل النحوي وعمل معلم النّحو؛ فعلى النّحوي أن يكون وصفيّا، في حين يتوجّب على معلم النّحو أن يكون معياريّا، يقول في هذا الشأن: « ننكر إذاً أن تكون القاعدة معيارًا في يد النّحوي، وإن وجب لها أن تكون معياراً في يد معلم النّحو، معنى هذا أنّه يُطلب إلى النّحوي أن يقول: العرب تقول كذا، وتقدّم هذا على ذاك، وترفع هذا وتنصب ذاك إلخ، ولا يقبل إلّا من المعلم أن يقول: يجب كذا ويجوز كذا ويمتنع كذا (...) فالباحث يستنبط القاعدة بالمنهج العلمي من مادة الاستعمال (المسموع) والمعلم يفرضها بالمنهج التّعليمي على هذا الاستعمال نفسه.»[1]

مفهوم القاعدة بهذا التّحديد تتجاذبه كل من المعياريّة والوصفيّة، فنصف أيّ جهد لغوي بالمعياريّة إذا كانت القاعدة فيه غاية – وفي آن واحد– منطلقا للحكم على الظواهر اللّغويّة التي يدرسها، وأداة للطّعن كلما خرجت الظاهرة عن مفاد القاعدة وشذت عنه، فهي مقياس لتحديد درجات الصّواب والخطأ. أمّا التّقعيد في الوصفيّة فيكون بعد الملاحظة والاستقراء والتّقسيم، فيعبر عن الظواهر التي أثبتت الملاحظة اطّرادها بعبارة مختصرة تلخص تجربة الباحث مع الظاهرة اللّغويّة المدروسة ومن ذلك : كل اسم يقع مسندا إليه يكون مرفوعا.

وينتهي تمّام حسّان من تفريقه بين القاعدة من وجهة النّظر المعياريّة والوصفيّة بتحديد أمور يجب على الباحث مراعاتها عند التّقعيد، تتلخص في النقاط الآتية:[2]

1. أن القاعدة وصف لسلوك عملي معين في تركيب اللّغة، ويلاحظ أن يكون هذا السّلوك مطّردا حتى يعبّر عنه بالقاعدة.

2.أن القاعدة لهذا السّبب جزء من المنهج لا جزء من اللّغة.

3. أن تكون القاعدة مختصرة قدر الطّاقة، فإذا طالت فقدت عنصرا مهمّا من عناصر كفايتها وفائدتها العلميّة.

---

[1] – تمام حسان: درجات الصواب والخطأ في النحو والأسلوب، ص:55.

[2] – تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية،ص: 158،159.

4. وما دامت القاعدة نتيجة من نتائج الاستقراء، فمن الضّروري إيراد الشّواهد والأمثلة التي جرى عليها الاستقراء، لتكون سندا للقواعد وإيضاحا لها ويحسن أن تكون هذه الشّواهد والأمثلة كثيرة إلى حد ما [1].

ث- السّماع:

لاحظ تمّام حسّان أن النّحاة العرب قد تعاملوا مع المادة المسموعة بطريقة تجعلها لا تتماشى ومقتضيات مناهج البحث اللّغوي الحديث؛ حيث إن أي بحث لغوي يستوجب توفر شرطين منهجيين هما:

1.أن يتناول لهجة واحدة من لغة ما، فلا يتناول اللّغة كلّها مع اختلاف لهجاتها.

2.أن يتخصّص في مرحلة زمنيّة واحدة من مراحل اللّهجة. [2]

لكنّ النّحاة العرب عندما أرادوا التّعامل مع المادة المسموعة، ومن أجل ضبط عملهم، عمدوا إلى ثلاثة أسس جعلوها ضوابط للتّعامل مع المسموع، وأسسا للتّشريع اللّغوي، ووضع النّحو متأخر مقارنة مع وجود اللّغة، لذلك كان لزاما على النّحاة، وهم يستقون القواعد من اللّغة الموجودة سلفا، أن يتخيّروا منها ما يتفق الكل على صلاحيته مصدرا يعكس الوجه الأفصح منها، والذي تطّرد فيه هذه القواعد بحيث يمكن الرّجوع إليها للتّحقق منها.

وأوّل هذه الأسس التي راعاها النّحاة العرب في تعاملهم مع المسموع من المادة اللّغويّة، كان الانتقاء الاجتماعي؛ وهو اختيار نوع من اللّغة يتعامل معها وتكون أساسا للاستشهاد، ومن هنا كان اختيار اللّغة الأدبيّة على حساب اللّغة المنطوقة، أما الأساس الثاني فهو الانتقاء المكاني، ونعني به انتقاء قبائل دون غيرها يحتج بلغتها، فلاحظ تمّام حسّان أن النّحاة العرب اختاروا بعض القبائل التي تقع في وسط الجزيرة العربية مثل قيس، وتميم، وأسد، و طيء، وهذيل، كما جاء في قول السّيوطي[3]، وأنهم قد تجاوزوا بعض قبائل الفصاحة ولم يذكروها مثل: ثقيف، وقد أورد رأيا في

---

[1]- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية،ص: 159.

[2]- تمام حسان: اجتهادات لغوية، ص: 16.

[3] - جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، تح: عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دمشق، ط2 ،2006م، ص: 47.

تصنيف قبائل الفصاحة ينسب إلى كلّ من أبي عمرو بن العلاء وابن عباس، فـبعضهم « ينسبون إلى أبي عمرو بن العلاء قوله:(أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم)، فأما عليا هوازن فهي التي كان ابن عباس رضي الله عنه يسميها (العجز من هوازن) و إذا عرفنا أن هذه القبائل المنسوبة إلى هوازن هي سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، و ثقيف، أدركنا أن ابن عباس وأبا عمرو بن العلاء لم يتجاوزا الحقيقة، لأنّ النّبي صلى الله عليه وسلّم رُبي في ِ حجر حليمة السّعدية (من سعد بن بكر)، وجعل ذلك مدعاة للفخر بالفصاحة»،[1] وهنا يظهر جليا ذكر قبائل من مثل ثقيف التي لم يجعلها النّحاة من قبائل الفصاحة ممّا تؤخذ منها المادّة المسموعة، وقد أرجع ذلك لمجاورتها الطائف وهي حاضرة، والمعلوم أن النّحاة لم يأخذوا من الحضر، كما لم يأخذوا عن القبائل المجاورة لتلك الحواضر.

أما الأساس الثّالث، فهو الانتقاء الزّماني، وقد سمّى النّحاة المجال الزّمني المعتمد في الاستشهاد بكلام العرب "عصر الفصاحة"، أو "عصر الاستشهاد"، وهذه الفترة الزّمنيّة تمتد من أول ما وصلهم من الشّعر الجاهلي حتى نهاية القرن الثّاني للهجرة، وفي هذا التّحديد لم يراعوا الفروق بين خصائص الشّعر الجاهلي ونظيره في صدر الإسلام وتجاوزوا أيضا التّطور اللّغوي الذي حصل بالضّرورة في اللّغة على امتداد تلك الفترة الزّمنيّة الطويلة، وهذا التّطور لا يمكن أن يغفله أي باحث في اللّغة وقد سجله مؤرخو الأدب.

يؤكد تمّام حسّان أنّ اعتماد النّحاة على هذه الأسس الثّلاثة قد أثّر سلبا في وضع النّحو العربي، إلا أنّه قدّم تفسيرات وتبريرات تجعلنا لا ننتقص من عمل هؤلاء النّحاة، وذلك لعدة اعتبارات أهمها:

1. لو أنّ النّحاة استخرجوا النّحو من لغة التخاطب – وهو ما يقتضيه البحث اللّغوي–بدل اللّغة الأدبيّة لما وصلوا إلى النّتائج التي يريدونها، وسعوا إلى تحقيقها، ولعلّ أهمّها المحافظة على النّص القرآني وحمايته من ظاهرة اللّحن.
2. المنهج الذي يناقش به عمل النّحاة لم يكن موجودا في زمانهم.

[1] – تمام حسان: الأصول، ص:86.

3. أنّ لغة التّخاطب كانت أكثر اختلافا وتشعّبا على ألسنة العرب من اللغة الأدبية ممّا جعل وضع قواعد النحو للغة الأدبيّة ممكنا، ويستحيل ذلك مع لغة التّخاطب.
4. أنّ اللّغة الأدبيّة كانت لغة القرآن ولغة الدولة، وبالتّالي فالأولى الاهتمام بها وضبطها أكثر من لغة التّخاطب، لأنّها اللّغة التي يعرف بها العرب عند الأمم الأخرى.
5. اللّغة التي درسها النّحاة قديما كانت لغة واحدة لا تفسدها الاختلافات اللّهجيّة إلا في حدود ضيّقة، يشهد لذلك أن النّحو الذي وصلنا لا يبدو فيه التّلفيق إلا قليلا.
6. أنّ الفارق الزّمني بين اللّغويين المحدثين والنّحاة جعل المحدثين يستفيدون من تجارب القرون السّابقة، وهو ما لم يتوفّر عند النّحاة، خاصّة عند من يعتقد بعدم اتصال النّحاة الأوائل بالحضارات الأخرى وأنّ النّحو العربي أصيل، ولعلّ هذا أهم معيار لتبرير بعض القصور الملاحظ على عمل النّحاة بل لدحضه تماما [1].

ج- القياس:

ربط تمّام حسّان القياس بالمتكلم، وجعله الأساس في مراعاة المعايير الاجتماعيّة عند استعمال اللّغة، وهو ما يسميه بالصّوغ القياسي؛ وهي «ظاهرة تبدأ عند الفرد في طفولته، وتبقى ما دام الفرد يستعمل من الصّيغ ما لم يرد على لسانه من قبل فإذا كانت الصّيغة التي يستعملها قياسيّة في اللّغة كان على صواب؛ أي كان على وفاق مع المستوى الصّوابي الاجتماعي، ولكنّه إذا صاغ كلمته على قاعدة معيّنة، كان المرجع في اللّغة إلى السّماع الذي ورد بهذه الكلمة». [2]

وهذه النظرة التي يعد تمّام حسّان فيها القياس خاصية تميّز المتكلم، تتفق مع نظرة دوسوسير الذي يربط « القياس بالكلام (النشاط الفردي) لا باللغة (الوجود الجمعي) لأنه في بدايته يقوم به الفرد، ولكن إذا ما استقر الاستعمال على الصّورة

[1] - ينظر: تمام حسان: الأصول، ص:97، 103.
[2] - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص: 39.

الجديدة انتقلت إلى اللّغة، وأصبحت من مذخورها الجمعي، وليس ثمة تناقض بين هاتين السّمتين، لأنّ كلّ سمة تختّص بمرحلة محدّدة.» [1] .

4- آراء تمّام حسّان في القضايا الصّوتيّة:

يعتبر تمّام حسّان النّموذج الذي وضعه لإعادة وصف اللّغة العربيّة يقف بإزاء النّموذج البصري الذي يمثله كتاب سيبويه، لكن يتميز عنه من حيث الأسس المنهجيّة التي بُني عليها كل منهما والمواضيع التي عالجها، وحتى الغاية التي يسعى كل منهما إلى تحقيقها، ولعلّ أهم ما يفرّق النّموذجين، هو منطلق دراسة اللّغة لدى كلّ منهما؛ فالنموذج البصري يتخذ الكلمة الوحدة التي منها تنطلق دارسة اللغة، والنّواة التي عليها بُني صرح النّحو العربي، ذلك لأنّها :« بحكم تعريفها لفظ مفرد وبحكم دلالتها تدل على معنى مفرد ، وهكذا يبدو أنّ فكرة الإفراد هي التي أعانت على بناء الجملة على الكلمات دون غيرها من وحدات التّحليل .أضف إلى ذلك أنّها ذات صيغة مفردة وأن اللّواحق والزّوائد تلصق بها، وأنّ ظاهرة الإعراب في اللّغة الفصحى ارتبطت بالكلمة، ثم أنّ الكلمة بعد ذلك يمكن تقديمها أو تأخيرها ويمكن أن تُضام الكلمات الأخرى أو تنفصل عنها وبذلك كلّه يتحقق وجودها النّظري باعتبارها وحدة تحليليّة.» [2]

أما تمّام حسّان فإنما يعدّ الصّوت نواة الدّارسات اللّغويّة، واللّبنة الأولى فيها، ذلك أنّ :«اللّغات أول ما بدأت في صورتها السّمعيّة، ويظهر عموم هذا الفهم بالاطلاع على أقوال العلماء في أصل اللّغة، وعلى النّظريات التي جاؤوا بها في افتراض بدء اللّغات الإنسانية ، إذ أنّ كل هذه النّظريات تتكلم عن اللّغة الأولى باعتبارها لغة سمعيّة. » [3]

---

[1] – محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 ،1995م، ص: 130.

[2]– تمّام حسّان: إعادة وصف اللّغة العربيّة ألسنيا، ص: 147-148.

[3]– تمّام حسّان : اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، ص:115 .

ومن جهة أخرى، نجده يفرّق بين فرعين في دراسة الأصوات؛ علم الأصوات، وعلم التّشكيل الصّوتي، أو بين الفونيتيكس والفونولوجيا، وكان ذلك بعد أن لاحظ أنّ: «الأصوات حركات عضويّة نشأت عنها قيم صوتيّة في نشاط حركي ذو نتيجة سمعيّة يدرس كلاهما من النّاحية الطبيعيّة؛ وأما العلاقات فهي ليست حركات طبيعيّة ولا تشريحيّة خاصة بوظائف الأعضاء، ولكنها ارتباطات من نوع معين بين الأصوات المتخارجة في الورود في الموقع الواحد، إذا كانت من حرف واحد وغير المتخارجة إذا كانت من حرفين أو حروف مختلفة. هذه الارتباطات أفكار مدركة لا أشياء ملموسة ووسائل للتّناول الدّراسي للغة لا أجزاء من سلسلة الأصوات في المجموعة الكلامية.»[1]

ثمّ فرّق بين هذين الفرعين من الدّراسة الصّوتيّة من خلال تميّز الكلام المنطوق عن المكتوب، فاعتماد الكلام المنطوق على المخارج، والصّفات هو أساس الاختلاف بين الأصوات المنطوقة، فبفضلها ولما بينها من مقابلات أو قيم خلافية كانت منطلقا للسّعي إلى إنشاء نظام صوتي تستخدم فيه هذه القيم الخلافية بين المخارج وبين الصّفات كالتّفخيم والتّرقيق والشّدّة والهمس، بخلاف الحركات الكتابيّة التي لا تتعدد فيها الأسس على هذا النّحو ولذلك افتقر النّظام الكتابي إلى التّركيب والتّنوع.

ويبرز في هذا السّياق الدّور الأساسي لظاهرتي النّبر والتّنغيم في النّظام الصّوتي فبانتمائهما إلى الكلام المنطوق، جعلتاه أقدر على كشف ظلال المعنى ودقائقه أكثر من الكلام المكتوب، الذي لم يستطع تجسيد هاتين الظّاهرتين كتابيّا بشكل دقيق.

وبذلك يكون الكلام المنطوق بتكوّنه من هذه الملامح التي لها أثر عميق في المعنى « مقدمة لا بد منها لدراسة الأنظمة(القواعد)اللّغوية أو بعبارة أخرى لدراسة اللّغة نفسها .وأصبح علم الأصوات تمهيدا بالملاحظة الحسيّة لإنشاء علم الصوتيّات الذي هو تخطيط عقلي لقواعد الأصوات بناءً على هذه الملاحظة الحسيّة » [2]

أ- <u>الفونيتيكس:</u>

---

[1]- تمّام حسّان: مناهج البحث في اللغة،ص:65-66.

[2]- تمّام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص:49 .

يتناول هذا المستوى من الدّراسة، عند جمهور الدّارسين، الأصوات من حيث «وصف مخارج أصواتها وطرق النطق بها وصفاتها فيقال مثلا إن الصّوت الفلاني من أصوات هذه الكلمة يخرج من المخرج الفلاني، وهو شديد أو رخو أو مركب أو متوسط وهو مهموس أو مجهور، وهو مطبق أو مغور أو محلق .ويتم ذلك الوصف بعد ملاحظة ووصف.» [1]

ففي استعراضه لجهود العرب في محاولتهم وصف الأصوات اللّغوية العربيّة، أشاد تمّام حسّان بدقة عملهم هذا، مع أنه تمّ لهم ذلك «دون أن يكون لهم من الوسائل الآلية التي يستخدمها المحدثون ما يستطيعون بواسطته توثيق نتائج مدركاتهم الحسيّة، ولقد بيّنو مخارج الأصوات وصفاتها واشتمل ذلك عند الكثيرين منهم على أصوات غير عربيّة شاعت في البيئة العربيّة في القرن الثّاني الهجري. » [2]

ومن باب عرض تلك الجهود، تطرق تمّام حسّان إلى عرض ما قدمه سيبويه تحت عنوان" الإدغام"، فقد بيّن أنّ سيبويه كان واعيا بأسبقية دراسة الأصوات في دراسة اللغة وأنه مقدمة لابد منها لدراسة أي نظام لغوي، وأنّ النّظام الصّوتي ضروري لدارسة النّظام الصّرفي من حيث إنّه يمدّه بمعطيات تعدّ مقدمات إجرائيّة.

فعند تعرّضه لدراسة الأصوات عند سيبويه في الكتاب، من خلال باب(الإدغام) «كشف عن وجهة نظره هذه من جهة وقيّد دراسة الأصوات وضيّق مجالها من جهة أخرى .وتأتي دعوى تضييق سيبويه لمجال دراسة الأصوات من أنّ الإدغام ليس جزءا من النّظام الصّوتي وإنما هو ظاهرة موقعيّة سياقيّة ترتبط بمواقع محددة يلتقي في كل منها صوتان السّابق منهما ساكن والتّالي متحرك فإذا تحققت صفات خاصّة في الصّوتين جميعا تحققت بذلك ظاهرة الإدغام كما فهمها سيبويه. » [3]

---

[1]– تمّام حسّان: مناهج البحث في اللغة، ص:25 .

[2]– تمّام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص:49.

[3]– تمّام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها ،ص:50.

ومما آخذ تمّام حسّان على منهج سيبويه في دراسة الإدغام، أنه قدّم له بدراسة الأصوات تحت العنوان نفسه، حيث إنه نظر إلى الصوت في معزل عن السّياق، تاركا سلوك الصّوت في السّياق إلى دراسة الإدغام نفسه .أضف إلى ذلك، أنه قد بنى وأصحابه منهجا خاصا في استنباط الحروف من الأصوات متعاكسا مع منهج المحدثين، وقد فسّر تمّام حسّان ذلك أنّ سيبويه وأصحابه لمّا شرعوا في تحليل الأصوات العربية وجدوا بين أيديهم نظاما صوتيّا معروفا، ومشهورا، وكانت حروفه قد طوّعت للكتابة منذ زمن طويل حيث إنّ لكل حرف منها رمزا كتابيا يدل على الحرف في عمومه، دون النّظر إلى ما يندرج تحته من أصوات، فكان منه أن ارتضى وأصحابه « هذا النّظام الصّوتي المشهور واتخذوه نقطة ابتداء في دراستهم للأصوات العربية ومن هنا رأينا الأصوات العربية التي تحت كل حرف من هذا النّظام لا تعدو أن تكون صفة لهذا الحرف كأن تكون إدغاما له أو إقلابا أو إخفاء أو إمالة وهلم جرا. » [1]

من هنا جعل سيبويه أصول الحروف العربيّة تسعة وعشرين حرفا، أضاف إليها ستة فروع أصلها من التّسعة والعشرين، قال عنها إنّها كثيرة وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، كما يضيف إليها ثمانية حروف أخرى غير مستحسنة، ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيّته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا الأشعار. أما مخارج الأصوات فقد أحصاها خمسة عشر مخرجا، وفيما يخص الصّفات، فقد قسّمها كما يأتي: [2]

1. الشّدّة والرّخاوة وما بينهما واللّين والهوى.
2. الجهر والهمس.
3. التّفخيم والتّرقيق.

وجعل الشّداد أربعة أقسام:

أ. ما يمتنع معه النّفس.

---

[1]– المصدر السّابق ،ص: 51.

[2]– المصدر السّابق، ص: 51، 58 .

ب. المنحرف.

ت. الأنفي.

ث. المكرر.

يرى تمّام حسّان استنادا إلى نتائج علم الأصوات الحديث أن مخارج الأصوات في اللّغة العربيّة الفصحى عشرة، هي :شفوي، شفوي أسناني، أسناني، أسناني لثوي لثوي، غاري، طبقي، لهوي، حلقي .وفي هذا الشأن، لاحظ أنّ سيبويه كغيره من النّحاة وهو إمامهم عندما تصدّوا لتحديد مخارج الأصوات، خلطوا فيها خلطا كبيرا، ومثال ذلك ما قام به الجزري الذي كان « يُفاضل بين الآراء المختلفة في تحديد عدد منها، حتى إذا عدّ سبعة عشر مخرجا وجدناه يسمي النّون مثلا مرة زلقية لأنها تخرج من زلقة اللّسان ومرة أخرى خيشومية لأنّها تنطق من تجويف الفم وهو الخيشوم، ومرة ثالثة يقول إنّها من طرف اللّسان بينه وبين ما فويق الثّنايا، فهو بهذا يعطي النّون مخرجا خاصّا حينا ويجمعها مع الرّاء واللّام حينا، ويضمها إلى الميم في مخرج حينا آخر. » [1]

أما صفات الأصوات، فيمكن تحديدها من خلال عدة اعتبارات كما يلي [2]:

1. الطّريقة التي يتمّ بها النّطق في مخرج ما؛ وتعطينا الصّفات التّالية :الشّدة والرّخاوة والتّعطيش والاستمرار.
2. حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية؛ وينتج عنها صفتا الجهر والهمس.
3. تحرك مؤخر اللّسان أو مقدمه تحركا ثانويّا أثناء حدوث النّطق في موضع آخر، وينتج عنه صفات الإطباق والتّغوير والتّحليق.

وفيما يخص أصوات اللّغة العربيّة الفصحى، فإن لتمّام حسّان نظرة خاصة لها تختلف تماما عما جاء به القدامى، ويبدو أن تجربته في دراسة لهجته الخاصة(لهجة الكرنك بمحافظة قنا)، ثم دراسة لهجة عدن قد ساعدتاه كثيرا في التّعرف على خصائص الأصوات في اللّغة العربيّة الفصحى؛ فنجده في كل بحث خاص بالنّظام

---

[1]– تمّام حسّان: مناهج البحث في اللغة، ص: 111.

[2]– ينظر: المصدر السّابق ، ص: 112.

الصّوتي في اللّغة العربيّة، يصرّ على التّفريق بين الصّوت والحرف، وهي من الحقائق الثّابتة في علم الأصوات الحديث؛ ولمّا كان ذلك كذلك، فإنه إذا عرفنا« أنّ حروف الهجاء الصّحيحة في العربيّة الفصحى ثمانية وعشرون، وأنّ حروف العلّة ثلاثة، لكلّ منها كميّتان، إحداهما قصيرة أو حركة، والثّانية طويلة أو لين .فمجموع الحروف في العربية الفصحى واحد وثلاثون حرفا بناءً على هذا الفهم .أما أصوات العربيّة الفصحى فأكثر من ذلك. » [1]

ومما يعزّز الحكم على أنّ إعادة وصف اللّغة العربيّة عند تمّام حسّان، هي تجربة لإعادة قراءة التّراث اللّغوي العربي، وتسهيل المستعصي منه، ما قام به في ختام حديثه عن المستوى الصّوتي في شقه المتعلق بالفونيتيكس، عندما حاول شرح بعض المصطلحات التي استعملها سيبويه، عندما رأى أنّ « قراء سيبويه –وما يزالون– يجدون صعوبة في فهم مصطلحات سيبويه التي استعملها في تحليله للأصوات العربيّة إما لأنّهم لا يرون لهذه الاصطلاحات عنصر الاطراد في الدّلالة و إمّا لأنّهم يخلطون بين معناها المعجمي ومعناها الاصطلاحي وإما لأسباب أخرى، حتى ذهب بعضهم إلى أنّ سيبويه فهم النّحو والصرف فهما تاماً عن شيوخه ولكنه لم يفهم عنهم الأصوات ومن ثم لم يستطع أنّ ينقلها واضحة للنّاس » [2]. فأخذ على عاتقه مهمة تيسير بعض تلك المصطلحات، ثم ينتهي من ذلك بإشارات ميزت جهود سيبويه الصّوتية كما يأتي: [3]

- الإطباق ضد الانفتاح.
- الحروف المطبقة هي ص، ض، ط، ظ.
- الحروف المنفتحة كل ما عدا ذلك ومنها خ، غ، ق.
- أنّ الإطباق يتم برفع اللّسان إلى الحنك الأعلى.
- أنّ الإطباق يحصر الصّوت(ومعناه الأثر الصوتي)بين اللّسان والحنك.

---

[1]– تمّام حسّان: مناهج البحث في اللغة، ص:116.

[2]– تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص:60.

[3]– ينظر: المصدر السّابق، ص: 63.

– أنّ اللّسان حين يرتفع إلى الحنك الأعلى يكون لهذه الحروف" موضعان من اللسان "أحدهما موضع المخرج وهو طرف اللّسان وثانيهما موضع التّفخيم وهو مؤخر اللّسان المرتفع إلى الحنك الأعلى.

– التّفخيم يلازم الإطباق كما في :ص، ض، ط، ظ، ولكنه لا يتوقف عليه كما في:خ، غ، ق.

وينتهي بعد ذلك إلى وصف جهود سيبويه بأنها" تتفق اتفاقا تاماً مع وجهة النّظر الحديثة في العملية النطقية الحركية للتفخيم [1]، فيكون هذا الحكم اعترافا منه بعبقريته وفهمه الدّقيق للنّظام الصّوتي في اللّغة العربيّة.

ب– <u>الفونولوجيا:</u>

يتحدّد التّشكيل الصّوتي، أو ما يسمّيه تمّام حسّان "النظام الصوتي" أو "علم الصّوتيّات" بتبيان أن دراسة الأصوات هي: « ملاحظة الكلام ولا تعتبر دراسة للغة، وأنّها تقع خارج الدّراسات القاعديّة بالمعنى الضّيق واستنتاجه أنّ الكشف عن النّظام الصّوتي للغة من اختصاص الباحث في علم الصوتيات لا الباحث في الأصوات» [2]، وهو الرّأي نفسه الذي « نادت به مدرسة براج حينما اعتبرت الدّراسات الفونتيكيّة أقرب إلى العلوم الطبيعية منها إلى العلوم اللغوية. » [3]

لكن هذا لا يعني أن علم الأصوات أو الفونيتيكس لا يرتبط باللّغة، بل إنّه مقدمة لابد منها لدراسة النّظام اللّغوي، ما دامت أيّة دراسة لغويّة تقوم أولا على ملاحظة أصوات تلك اللّغة، فالملاحظة عمليّة سابقة بالضّرورة لعمليّة التّنظيم .وهذا ما جعل تمّام حسّان يقرر أن علم الصوتيات(الفونولوجيا)ينبني على دعامتين أساسيتين هما :[4]

---

[1]– ينظر: المصدر السّابق،ص:63.

[2]– ينظر: تمّام حسّان: اللّغة العربيّة مبناها ومعناها ،ص: 66.

[3]– حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص: 228.

[4]– ينظر: تمّام حسّان: اللّغة العربيّة مبناها ومعناها ،ص: 67.

1. معطيات علم الأصوات، أي مجموعة الملاحظات المسجّلة، التي تقرّر أنّ اللّغة المدروسة تشتمل على عدد معيّن من الأصوات لكلّ منها وصفه العضوي والسّمعي.
2. طائفة من المقابلات بين الأصوات من حيث المخارج، والصّفات، والوظائف، وهذه المقابلات هي جهات الاختلاف بين صوت وصوت آخر، إما من حيث المخرج فقط، أو الصّفة فقط، أو هما معا، وتسمى: "القيم الخلافيّة".

ومن هنا، يتّضح أنّ هذا الفصل الذي عقده تمّام حسّان بيّن هذه المستويات غير موجود أصلا، وخاصة عند دراسة لغة ما، فهو تقسيم على المستوى النّظري دون التّطبيقي، وهو ما يراه جون دوبوا أيضا، حين يلاحظ أنّ الفنولوجيا تختلف عن الفونيتيكس لكن من الصّعوبة بما كان أن نفصل بين هذين المجالين من الدّراسة [1] .

تعدّ الوظائف، والقيم الخلافيّة، ومعطيات علم الأصوات من أهم وسائل الكشف عن النّظام الصّوتي للغة .كما يتم الكشف عن هذا النظام « بواسطة العمل على تبويب العدد الكبير من الأصوات المسموعة الملاحظة المسجلة إلى أقسام بحسب مخارجها وصفاتها ولكن التّشابه أو التّخالف في المخرج أو الصّفة أو فيهما معا لا يصلح وحده أساسا لتحديد الحروف فقد يتفق الصوتان في كل شيء حتى يخفى على غير ذي الخبرة حين يسمعهما أن يفرق بينهما، ومن هنا يصبح من الضّروري أن تدخل القيمة الخلافيّة الوظيفيّة في الطريقة التي تحدّد بها حروف النّظام الصّوتي بحسب الوظيفة وتستخدم هذه القيمة الخلافيّة في التّقسيم بواسطة النّظر في الوظيفة التي تتجلى في إمكان التّداخل في الموقع و التّخارج فيه بالنّسبة لكلّ من الأصوات التي بين أيدينا والتي نريد أن نبوّبها في صورة حروف».[2]

---

[1]– هذه ترجمة لمقطع من تعريف الفنولوجيا عند جون دوبوا، حيث يقول:

« Elle se distingue donc de la phonétique bien qu'il soit difficile de séparer ces deux domaines de recherche ». Jean DUBOIS et autres, le dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse dictionnaires, Paris, décembre 2012, p 362.

[2]– تمّام حسّان: اللّغة العربيّة مبناها ومعناها ،ص: 73.

يوصلنا هذا العمل بالضّرورة، إلى التّفريق بين الصّوت والحرف، حيث إن للصّوت عملا حركيّا، وللحرف إدراكا ذهنيّا، والفرق من هذه الجهة بيّن «فالصّوت يُنطق فيكون نتيجة تحريك أعضاء الجهاز النّطقي وما يصاحب هذا التّحريك من آثار سمعيّة ولكنّ الحرف لا يُنطق ولكن يُفهم في إطار نظام من الحروف يُسمى النّظام الصّوتي للّغة.» [1]

يسعى عمل تمّام حسّان في إعادة وصف اللّغة العربيّة، إلى إعادة الاعتبار للمعنى حين تناول القضايا اللّغويّة، لذلك نلاحظه وهو يتطرق لباب الفنولوجيا الذي هو أساسا العلم الذي يهتم بوظائف الأصوات لا يغفل عن الاهتمام بهذا الجانب، حيث إنه عند إحلال حرف محل آخر، أو ما سماه "التّقابل الاستبدالي"، يسبب في تغير معنى الكلمة، وبذلك يصبح يحمل " بُضعة "من تبعة المعنى الجديد، على حد تعبيره، فهذه «أول بُضعة من المعنى الوظيفي يمكن الكشف عنها في اللغة وهي وظيفة الحرف باعتباره مقابلا استبداليا أي باعتباره صالحا للحلول محل واحد أو أكثر من الحروف الأخرى في النظام الصوتي نفسه».[2]

ويمثّل تمّام حسّان لذلك باستبداله حرفا مكان حروف معينة في كلمة ما، وملاحظة تغيّر معنى الكلمة الجديدة مقارنة مع سابقتها؛« فإذا نظرنا إلى الباء في (طاب)وجدنا أنّها تدل على معنى معين هو صلاحيتها للحلول محل عدد من الحروف الأخرى وقد عددنا منها اللام ونضيف هنا الرّاء في(طار)والفاء في(طاف)والشّين في(طاش)كما أن الطّاء تدل على معنى معين هو أنها مقابل استبدالي للتّاء في (تاب)و الثّاء في(ثاب) والخاء في(خاب)، فمعناها أنّها صالحة للحلول محل أي واحد من هذه الحروف جميعا وهذه البُضعة من المعنى التي تنسب إلى الحرف بضعة سلبية فمعنى الطّاء أنها ليست تاء ولا ثاء ولا خاء ولا ذالا».[3]

---

[1]– المصدر السّابق، ص: 74.

[2]– المصدر السّابق، ص: 76.

[3]– المصدر السّابق، ص: 77.

هذا ويضاف إلى الاستبدال في حمل جرثومة المعنى –على حد تعبيره– ظاهرتي "الإضافة"و"الاستخراج" ؛ فالأولى هي إضافة حرف معين إلى كلمة، فتنتج بذلك كلمة جديدة بمعنى مختلف عن الكلمة الأولى، ومثاله إضافة الميم إلى كلمة(قاعد)فتصير (مقاعد)، فيكون للميم معنى من حيث إنّها جلبت إلى الكلمة معنى جديدا .أمّا الثّانية فهي على العكس من الإضافة، استخراج حرف من كلمة للحصول على كلمة جديدة ذات معنى مختلف؛ فعند استخراج الميم من كلمة(مقاعد)تصير(قاعد .)وبهذا « يمكن أن تدعي أنّ كل حرف من حروف الكلمة يحمل جرثومة من المعنى من جهتين الأولى إيجابيّة هي دلالة صوته على بيئته من الكلمة والثّانية سلبيّة هي كونه مقابلا استبداليا لعدد من الحروف الأخرى وهي الأهم» .[1]

وصفوة القول، فإن تمّام حسّان يقسم النّظام الصّوتي للغة إلى حروف phonèmes بوساطة اعتبار القيم الخلافية، وهو مصطلح متصل بفكرتي الملامح المميّزة، والتّوزيع التّقابلي، وبوساطة التّقسيمات العضويّة والصوتيّة، وهي حقل آخر من حقول القيم الخلافيّة، ومنه يصل إلى اعتبار أن القيم الخلافية من أهم مقومات النّظام الصّوتي في اللّغة، وأنّ اللّغة حريصة على مراعاتها من أجل وضوح المعنى.

يعلّق حلمي خليل على ذلك بقوله : « وهنا نجد تحديدا جديدا للمستوى اللّغوي الذي يدرسه الكتاب، وكان من قبل اللّغة العربيّة الفصحى وفروع دراستها، أمّا النّظام الصّوتي فهو للفصحى المعاصرة» .[2]، أما محمد صلاح الدّين الشّريف فإنه يؤاخذ عليه تلك المبالغة في تحميل الأصوات جزءًا من المعنى العام للكلمة، لأنّ معنى الكلمة تحمله من حيث إنّها تركيب من الحروف، ولا يمكن للحرف منفردا أن يحمل على عاتقه معنى الكلمة فالكلمة عنده «رمز دلالي لا ينقسم إلا دلاليّا، أمّا الحروف

[1]– تمّام حسّان: اللّغة العربيّة مبناها ومعناها ،ص: 77.

[2]– حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص:230 .

فمكوّنات للرّمز ليس لها شيء من الدلالة» .[1] ويعلّل موقفه هذا بحقيقة لسانيّة لا يختلف حولها اثنان؛ حيث إنّنا : « لو أعطينا للحرف معنى و إن سلبيا لصار من التّناقض والوهم اعتقادنا في اعتباطيّة العلامة اللّغويّة .والاعتباطيةّ مبدأ أساسي في الألسنيّة .ولا شك أنّ تمّام حسّان يعرف هذا. ولكنّه يريد أن يرى المعنى في كل شيء .لقد كان يمكنه أن يكتفي بمصطلح سائد خاصة في المدرسة الوظائفيّة التي ينتسب إلى بعض فروعها وهي اعتبار الصوت ذا وظيفة تمييزيّة وفي هذا كفاية لمن أراد بيان صلة الصوت بالمعنى» .[2]

خاتمة:

سعى البحث فيما تقدّم إلى عرض الجهود العربيّة فيما يخص الدّرس اللّساني، من خلال عرض تجربة للساني عربي، يشهد له كلّ ملّم بالدّرس اللّساني العربي بالتّميّز ألا و هو تمّام حسّان، وفيما يلي عرض لأهمّ النّتائج الخاصّة بالجهود اللّغوية له:

1. يسعى تمّام حسّان إلى وضع نظريّة لغويّة خاصة باللّغة العربيّة تستجيب للمتطلبات النّظريّة والإجرائيّة للنّظريات العلميّة الحديثة الخاصة باللّغة.
2. المتتبع لجهود تمّام حسّان يلاحظ جليّا إلمامه بالتّراث اللّغوي العربي، كما يلمس عنده روحا نقدية تجعله ينتخب من المواضيع اللّغوية عند القدامى ما انفرد منه وتميّز بالعلميّة.
3. كما يلمس النّاظر في أعماله شدّة إعجابه بما قدّمه الرعيل الأول من علماء العربية، فهو يعد ما أنتجه خاصة الخليل بن أحمد وسيبويه، ومن عاصرهما وسار على منهجهما، من قبيل الابتكار العلمي العربي.

---

[1]– محمد صلاح الدّين الشّريف: النّظام اللّغوي بين الشّكل والمعنى من خلال كتاب تمّام حسّان((اللّغة العربيّة معناها ومبناها))، حوليات الجامعة التونسية،ع 17، 1979م، ص:209.

[2]– المرجع السّابق ص: 209.

4. يقرّ تمّام حسّان بأصالة الفكر اللغوي العربي خاصة في القرون الثلاثة الأولى، كما يلح على أن الجهود النّحوية التي ظهرت عند الرعيل الأول من النّحاة العرب منذ أبي الأسود الدّؤلي التي امتدت عند سيبويه وغيره ممن اتبعوا منهج الرعيل الأول كان علميا، ثم تحوّل إلى الصبغة التّعليميّة بعد أن اختلطت ألسنة العرب بألسنة الموالى وضعفت السّليقة العربيّة، فاحتاج العرب إلى تعليم القواعد العلميّة لتقويم الألسنة.
5. يصنّف تمّام حسّان آراءه اللّغوية بإزاء النّظريات اللّغوية العربيّة القديمة، التي اتّسمت بالابتكار والعلمية؛ حيث يجعل مشروع إعادة قراءة التّراث اللّغوي العربي وفق المنهج الوصفي أجرأ محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللّغويّة.
6. ينطلق مشروع تمّام حسّان في دراسة اللّغة العربيّة من إيمانه بضرورة إعادة قراءة التّراث اللّغوي العربي وفق المناهج الحديثة، خاصة المنهج الوصفي، وهو يتضمن إعادة وصف اللّغة العربيّة الفصحى بالاعتماد على هذا المنهج، فهذا المشروع مبني أساسا من نظرة نقدية للتّراث اللغوي العربي.
7. يرنو تمّام حسّان من خلال إعادة قراءة التّراث اللغوي العربي إلى الاهتمام أكثر بجانب المعنى، وجعل عنصر المعنى جنبا إلى جنب مع المبنى؛ فالدراسات اللغوية العربية القديمة حسبه قد فصلت بين الجانبين، وكانت أميل إلى المبنى.
8. يرجع سعي تمّام حسّان إلى التركيز على المعنى في المشروع اللغوي إلى تأثره بالنظرية السياقية التي عرف بها أستاذه فيرث.
9. نتج عن الدّراسة النّقدية التي قام بها تمّام حسّان للتراث العربي نظرية قائمة على رفض العامل واقتراح البديل الذي يقوم مقامه.
10. ربط تمّام حسّان بين الدّرس اللّغوي الغربي و الدّرس اللّغوي العربي، ليعطي تصورا جديدا للدرس العربي الحديث، وانطلاقا من هذا أعاد وصف أصوات اللغة العربية، وسعى إلى تأسيس وصف فونولوجي لأصوات العربية في وقت كان الدرس الصوتي العربي درسا فونيطيقيا في خصائصه العامة لا فونولوجيًا .
11. مرّت المحاولة الصّوتيّة لتمّام حسّان بمرحلتين تتجسد المرحلة الأولى في كتاب "مناهج البحث في اللغة"،والمرحلة الثانية في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"،

حيث اهتم في الكتاب الأول بشرح علم الأصوات في ضوء المناهج العلميّة الحديثة،واهتم في الكتاب الثّاني بوضع نظام صوتي للغة العربية.

12. تميزت المرحلة الأولى ببروز مجموعة من المفاهيم قدمها تمّام حسّان في دراسته الصوتية و منها: القيمة الخلافية، الوظيفة، العلاقة، الفونيم، أمّا المرحلة الثانية فقد بدا فيها تمّام حسّان أكثر وعيًا لمفاهيم الفونولوجيا ومصطلحاتها وتطبيقاتها على اللّغة العربيّة، و قدّم مفهومين جديدين هما : ثنائية التّداخل و التّخارج، مفهوم الاستبدال.

References

1. Abdul Rahman ibn Hassan Al-Aarif: The Reality of Modern Linguistic Research and its Directions, within the book "Arabic Language and Linguistic Theories: Achievements and Prospects," Page 37.
2. Abu al-Hussein Ahmad ibn Fares ibn Zakariya: Lexicon of Language Measures, Edited by Abdul Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, Damascus, Volume 5, 1979.
3. Ahmad Amin: Dawn of Islam, Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo, Volume 2, 2012, Pages: 608, 609.
4. Helmi Khalil: Arabic and Structural Linguistics, Dar Al-Maaref Al-Jamea, Egypt, 1996, Page 219.
5. Introduction to Fischer's Lexicon, Page: 3. Cited from Hussein Nasr, The Arabic Lexicon: Its Origin and Development, Dar Misr for Printing, Cairo, Volume 1, 1956, Page 1.
6. Jalal al-Din al-Suyuti: Suggestion on the Foundations of Grammar, Edited by Abdul Hakeem Atiya, Dar al-Bayrutti, Damascus, 2nd Edition, 2006, Page 47.
7. Muhammad Hassan Abdul Aziz: Analogy in the Arabic Language, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 1st Edition, 1995, Page 130.

8. Naaman Boukraa: Linguistics: Trends and Current Issues, Al-Kitab Al-Hadith, Irbid, 2007, 1st Edition, Page 219.
9. Talal Alamah: The Emergence of Arabic Grammar in the Schools of Basra and Kufa, Dar al-Fikr al-Lubnani, Beirut, 1st Edition, 1992, Page: 9.21 -1.
10. Tammam Hassan: Degrees of Accuracy and Error in Grammar and Style, Journal of the Arab Language Academy, Volume 56, May 1975, Page 55.
11. Tammam Hassan: Foundations: An Epistemological Study of Linguistic Thought among Arabs, Grammar, Language Jurisprudence, Rhetoric, Al-Kitab, 1430 AH, 2000, Page 37.
12. Tammam Hassan: Language between Standardization and Descriptivism, Al-Kitab, Cairo, 4th Edition, 2000, Page 11.
13. Tammam Hassan: Linguistic Ijtihad (Independent Reasoning), Al-Kitab, Cairo, 1st Edition, 2007, Page 13.
14. Tammam Hassan: Redescribing the Arabic Language Linguistically, Proceedings of the Conference on Linguistics and the Arabic Language, Tunisia, 13-19 December, 1978, Page 159.
15. Tammam Hassan: Research Methods in Language, Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, Casablanca, 1986, Page 71.
16. Tammam Hassan: The Arabic Language: Its Meaning and Structure, Al-Kitab, Cairo, 3rd Edition, 1998, Page 10.

Arabic Linguistics At Tamam Hassan Between Originality And Modernity The Phonological Level Is A Model

Samira Abdel Malik*
Nadia Sharf **

Abstract

The scholars agreed to divide the languge in to analytical levels, because it contains very complex aspects that require more than one method and more than means to decode its codes and analyze its contents, so hey assumed that it is divided into levels, each of which has general characteristics, through which it is possible to find the secrets of the content of this level . These levels work in harmony and complementarity, and the separation of some and their independence from others is only outwardly, because languge is a single entity whose contents cannot be separated, as all linguistic elements interact together and collaborate in achieving linguistic purposes,and any division of language into levels is only a systematic division, and for each An element of it is a branch of the science of linguistics , and the most famous division know to linguists is four levels that from general structure of language, and these are :phonemic level, morphology level, grammar level, ocabulary level.

Keywords: linguistics , rooting , modernity, phonetic level , Tammam Hassan.

* **University Center Maghnia / Algeria.**
** **University Center Maghnia / Algeria.**